"أبانا الذي في السماوات..."

عظة للأب سليم منّاع – خادم رعية مار يوحنا المعمدان،كرم سده

في القدّاس الإلهي من أجل الراقدين على رجاء القيامة

كنيسة مار شربل– كرم سده

2015/6/22

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله واحد، آمين.

من خلال هذا الإنجيل، نجد أنّ يسوع يتكلّم كثيراً عن الصلاة **"وكلّ ما تطلبونه بالصّلاة يُعطى لكم"**(مر 24:11)، ويقول أيضاً: **"لم تطلبوا بعد باسمي أيّ شيء"** (يو 24:16). تكلّم كثيراً على الصّلاة قائلاً إنّنا نستطيع الحصول على كلّ ما نريده من خلال الصّلاة، ولكنّ السّؤال الّذي يطرح نفسه، كما أنّنا نفكّر فيه، دائماً ولماذا عندما نصلّي لا نحصل على ما نريد؟ وكأنّ لا أحد يسمع صلاتنا". في هذه المناسبة اليوم، سَنُصحّح فكرة الصّلاة الّتي أخذناها، منذ القدم، عن أجدادنا وعن الكنيسة بطريقة خاطئة. نحن هنا حتّى يقول لنا لماذا لا نجيد الصّلاة.

عندما تكلّم يسوع المسيح مع تلاميذه عن الصّلاة، فرحوا، لأنّهم بالصّلاة يحصلون على كلّ ما يُريدونه فقالوا له: **"يا ربّ، علّمنا أن نصلّي"** (لو 1:11) فلم يقل لهم إنّ هناك الكثير من الصّلوات الّتي يُمكنهم أن يُصلّوها كالمزامير، الّتي كانت في ذلك الوقت الصّلاة الأفضل، بل قال لهم: **"إذا أردتم أن تُصلّوا فقولوا أبانا الّذي في السّماوات"** (لو 2:11). ولكن "الأبانا" ليست صلاةً بل هي دستور حياة مؤلّف من بنود وإذا سقط واحدٌ منها سقطت "الأبانا". وأكرّر إذا ردّدتُ "الأبانا" ألف مرّة فهي ليست صلاةً بل دستور حياة عليّ أن ألتزم به. وهذا هو ما أعطانا إيّاه الرّبّ.

تبدأ "**الأبانا**" بأن أعترف بأنّ الله هو أبي السّماويّ وهو البند الأوّل. أبانا وليس أبي أيّ نحن إخوة. والسّؤال البسيط، هنا، "هل نحن نعيش كإخوة أو كأعداء؟" أيّ إذا كان أحدنا يُريد أن يُصلّي "الأبانا" فَلْيبدأ بالجملة الأولى "هل أنا أخ أم عدوّ؟" فإذا كان عدوّاً، لا ضرورة لأن يُكملها.

نتابع "**لِيتقدّس اسمك**" هل فكّرنا ممن نحن نطلب أن يتقدّس اسم الله؟ كيف يتقدّس اسم الله غير بأعمالي وأقوالي وأفكاري؟ يتقدّس اسم الله من خلالي أنا، من خلال سلوكي. فهل الأعمال الّتي أقوم بها تُمجّد اسم الله وتُقدّسه؟ إذا كانت الأخلاق الحميدة والأقوال الجيّدة والنّوايا الحسنة موجودة لديّ، أتابع "الأبانا" دستور الحياة.

نتابع "**ليأتِ ملكوتك**"، بمعنى آخر، نظنّ أننا في يوم القيامة، يأتي الربّ يسوع، يعطي مجده ويجازي النّاس كلّ بِحسب أعمالهم. علينا أن نُفكّر إن كنّا جاهزين لِيأتي ملكوت الرّبّ، وإن كنّا في حالة النّعمة ونحبّ كلّ النّاس ولم نتعدَّ على أحد بالفكر أو القول أو الفعل. كلّ بند من بنود "الأبانا" يجعل منّي قدّيساً، أفوق بقداستي كلّ القدّيسين الّذين نُكرّمهم على هذا المذبح، إذا كنتُ أنا في حالة النعمة، وجاهزًا الآن لأن يتمّ ملكوت السّماء لأُحاسَب، عندئذٍ أستطيع متابعة "الأبانا".

نتابع "**لِتكن مشيئتك كما في السّماء كذلك على الأرض**" تكمن المسألة في أن نُتمّم مشيئة الرّبّ يسوع في حين نعرف بأنّنا لا نتمّم إلّا مشيئتنا؛ أنا الّذي يعرف ويُفكّر ويتصرّف، وإذا كانت مصلحتي تقتضي بأن أخالِف مشيئة الرّبّ فأفعل ذلك. فهذه البنود الأربعة إذا استطعتُ أن أجتازها أكون قدّيساً.

نتابع مع القسم الثّاني وهو حياتيّ أكثر من الأوّل "**أعطنا خبزنا كفاف يومنا**" وأنا في كلّ حياتي لا أستطيع تحديد اللّحظة الّتي سأكتفي فيها فأعطي كلّ ما يزيد إلى الفقراء وأكون إنساناً مُحبّاً فاعِلاً للخير. هل نستطيع تحديد الوقت الّذي سنكتفي فيه كي نقول لربّنا "أعطنا خبزنا كفاف يومنا"؟

إلى أن نصل إلى البند الأخير "**إغفر لنا كما نحن نغفر**". وفي الأصل قال المسيح "كما نحن غفرنا". تأمّلوا في هذا الشّرط، فمن دون أن يغفر لنا لا نستطيع دخول السّماء. ولكي يغفر لي الرّبّ عليّ أن أغفر أوّلاً.

في إنجيل اليوم، "**فاغفروا له لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الّذي في السّموات**" (مر 25:11).

يُذكّرنا بإنجيل الوزنات، إنجيل المديونات. سامحه الرّبّ بعشرة آلاف دينار... وأنا من غفر لي الرّبّ الكمّ الهائل من الخطايا تمسّكت بقريبي من أجل مئة دينار.

نقول "الأبانا" أكثر من مرّة في اليوم الواحد ونعتقد أنها صلاة، في حين أنها طريقة حياة، وإذا سلكنا هذه الحياة، قبل أن نفكّر في الصلاة والطّلب علِمَ الله ما هي حاجتنا.

الصّلاة الّتي نصلّيها، سواء أكانت المسبحة أو التّراتيل والتّرانيم الّتي حفظناها، ليست صلاةً وإنّما هي نتيجة الصّلاة، أيّ عندما أنا أرضي ربّنا وأصنع مشيئته وأنفّذ "الأبانا"، أستطيع عندئذٍ تكريم العذراء والغزل بها وبالقدّيسين وبيسوع المسيح. "السّلام عليك يا مريم" أنا أكرّر كلام الملاك وأرفع من شأن مريم. هنا أعطيكم مثلاً عن الابن عندما يُريد من والده أن يُنفّذ له طلباً بعد أن يكون الوالد قد طلب إليه شيئاً ولم يفعله. عندها يُجيبه والده بأنّه عليه أن يُنفّذ ما طلبه إليه أوّلاً وبعدها يُحقّق له رغبته. هذا الموقف هو موقف الله نفسه. فهل سامحتُ قريبي قبل أن أطلب المغفرة الى الله؟ هل قمنا بما طلبه إلينا الرّبّ قبل أن نُرنّم له ليقبل منّا هذه التّرنيمات؟ يقول في الكتاب المقدّس إنّه كاد يختنق من رائحة البخور والمسمنّات وإنّه يُريد رحمةً لا ذبيحةً. ونحن خلال القدّاس نكذب عليه.

يكفي أن نصلّي **"الأبانا"** بعد أن فسّرناها حتى نرى الموقف الوضيع الّذي نحن فيه. نحن لا نقول الحقيقة لربّنا وجهاً لوجه. مثلاً: يأتي شخص إلى الكنيسة، ويكون تفكيره في مكان آخر خلال القدّاس وعندما يحين وقت المناولة لا يتناول. وإذا أراد أن يُرتّل بدأ بترتيلة "قد أكلتُ جسدك المقدّس". علينا أن نتّفق على أن نكون متيّقظين لما نقوم به فعلاً، حتى من دون أن نفكّر في طلبنا الّذي سنحصل عليه، شرط أن نعرف كيف نصلّي "الأبانا" وهي مشروع حياة. فإذا استطعنا خلال حياتنا تنفيذ "الأبانا" ستتزيّن صورتنا كما تتزيّن صورة قلب يسوع.

هذا هو مشروعنا "الأبانا". أتمنّى عليكم أن تُعيدوا "الأبانا" جملةً جملةً لتعرفوا كم أنتم تطبّقون ما فيها، ستكتشفون أنّكم لا تُطبّقون أيّ بند، ولكن، ليست هذه هي المشكلة؛ العبرة هي أن نكتشف مدى ضعفنا فنصحّح الخطأ ونعيد ترميم حياتنا. ولا ضرورة لأن نبدأ ببند معيّن من "الأبانا"، من مغفرة القريب إلى "خبزنا كفاف يومنا" إلى "لتكن مشيئتك كما في السّماء كذلك على الأرض"، فكلمة الله ورأيه هما اللّذان يحكمان لا كلمتي ورأيي. عندئذٍ ستكتشفون صدق كلام يسوع المسيح حين قال **"إن كلّ ما تطلبونه بالصّلاة تنالونه"**. وقد قال: **"تستطيعون أن تفعلوا أكثر من الّذي فعلته أنا"**، إذا عرفنا كيف نحبّ ونطيع ونكون أبراراً. **"أطلبوا برّ الله وملكوته"** (متى 33:6)، برّ الله هو الطّاعة، والبرارة هي طاعة الشّريعة.

نحن، اليوم، قد وضعنا أنفسنا أمام واقعنا وهو أنّنا ناس غير صادقين مع ربّنا، في حين أنّنا دائماً نطلب إليه أن يحقّق لنا ما نريده، فيقول لنا أن نقوم بما طلبه إلينا أوّلاً.

طبعاً علينا أن نميّز بين الذّبيحة والصّلاة، فالذّبيحة الإلهية ليست صلاةً. مفعولها موجود فيها، لأنّها نعمة من عند الرّبّ. عندما نقدّم الذّبيحة عن نفوس أمواتنا أو عن الأحياء أو المرضى لا ضرورة لأن نكون قدّيسين كي تثمر، لأنّ الرّبّ هكذا أراد **"إصنعوا هذا لِذكري"** (لو 19:22).

إذا قرأتم الكتاب المقدّس، في كلّ مرّة ذكر فعل "تذكّر أو ذكار" تمّت عمليّة الخلاص، والمرّة الأولى الّتي ذُكِرت فيها هي عندما يقول الإنجيل: "وتذكّر الله نوح" فَرست السّفينة وبدأت الحياة. في أماكن عديدة تُذكر هذه الكلمة فكيف إذا كان الله بنفسه يقول **" إصنعوا هذا لِذكري حتّى مجيئي"** (لو 19:22).

المرّة الأخيرة في الإنجيل الّتي ذُكِر فيها الفعل "تذكّر" كانت عندما كان المجرم مصلوباً إلى جانب الرّبّ يسوع، قال له **"أذكرني متى أتيتَ في ملكوتك"**. فأجابه يسوع المسيح: **"اليوم، تكون معي في الفردوس"**(لو 23:42-43).

نحن، اليوم، خلال هذه الذّبيحة، نذكر أمواتنا وأنا قد رأيت أنّ أمواتنا هم الّذين يذكروننا لِما نعيشه من ضعف وتشتّت في إيماننا ومحبّتنا.

أتمنّى أن ترجع إلينا النّعم، الّتي نحاول أن نرسلها إلى أمواتنا من خلال الذّبيحة، ندامة وطاعةً فَنعرف أنّ المسألة فيها ثواب وفيها عقاب. يُريد منّا الرّبّ، من كلّ قلبه، أن نعيش معه في الملكوت.

لذلك أتمنّى أن نتّخذ القرار الصّحيح ونبدأ بترميم حياتنا استناداً إلى الدّستور الّذي أعطانا إيّاه الرّبّ وهو "الأبانا" حتّى نصبح قدّيسين على مثال الله القدّوس آمين.

نحن، اليوم، نقدّم هذه الذّبيحة الإلهية من أجل جميع الموتى المؤمنين، أموات رعية كرم سده والجماعة الحاضرة والرّعايا المشتركة في جماعة "أذكرني في ملكوتك" في لبنان وخارجه. وكما نرفع الذبيحة على نواياكم الخاصة، سائلين الله أن ينال كلّ واحد نعمًا وبركات، وأن نفتكر كلّ يوم صلاة الأبانا.

ملاحظة: دُوّنت العظة من قبلنا بتصرّف.